

١- قد تقل العُدَّة والعتاد في الأمم والجيوش، وهذا

ليس خطيراً، لكن الداهية الدهياء، والمعضلة

الشنعاء أن يقل الرجال؛ أي يجبنون، فالجبن يجعل

من الأمة العظيمة ناقةً ذليلة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ

فِئَةً فَأْتِبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[الأنفال: ٤٥]

٢- حينما يلوذ المسلمون بجناب الله تعالى؛ فإن الأقيسة

المنطقية غالباً ما تتنحى جانباً، فالوقت وقت المعجزات، فالفئة القليلة تغلب الكثيرة،

وعشرون صابرون يغلبون مئتين، والعرجون القديم يستحيل سيفاً بتاراً في يد الفارس

المؤمن، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

٣- بات النبي ﷺ - ليلة المعركة داعياً خاشعاً متذللاً لرب العالمين، بينما بات أبو

جهل ثملاً يرقص الغواني . وهذا جانبٌ من جوانب يوم الفرقان، فمن بات على شيء

أصبح عليه، فهذا بات يترنح، وقُتل وهو يترنح، وذاك أذل نفسه لله؛ فكان حقاً على الله

- تعالى - أن يعزه . ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧]

٤- وأنتَ تقرأ سورة الأنفال؛ تشعر أنها بياناً عسكرية لتقييم سلبيات المعركة، بل

لقد ركزت السورة على الداء الخطير الذي يأتي على الأمم؛ إنه داء "التنازع"

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[الأنفال: ٤٦].

٥- تجهزت قريشٌ لملاقاة المسلمين، وكان الاستنفارُ في مكة عامّاً، فمن لم يستطع

الخروج أخرج مكانه رحلاً، فعزم أمية بن خلف على القعود، فجاءه الخبيث عقبة بن أبي

معيط بمَجْمَرَةٍ فِيهَا نَارٌ، ووضعها بين يدي "أمية" وكان جالساً بين قومه، ثم قال عقبة:

يَا أَبَا عَلِيٍّ! اسْتَجِمِرْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النَّسَاءِ! قَالَ أمية: قَبَّحَكَ اللَّهُ وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ! ثُمَّ

تَجَهَّزَ فَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ<sup>(١)</sup>، فكان مقتله في بدر . نعم، أحياناً يقودك صديقك إلى الهلاك .



المنتنة من تحت فرائه . إن الحاكم الفاسق الذي خلع على نفسه مساليخ الزهاد والمصلحين؛ لا يصبر كثيرًا، ويضيق زرعمًا برداء الزهاد والصالحين، فهو رداء ضيقٌ جدًّا، تمامًا مثل معاشهم !

١١- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾

إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ [الأنفال: ١٧].. إن الحجارة في يد المؤمن أقوى من المدفع في يد الكافر؛ وذلك - أيضًا - جانبٌ من جوانب الفرقان.

﴿الجانب النفسي هو الخرزة الأولى في عقد الجيش، فإذا انفرطت؛ انفرط العقد كله : ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَدْنَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْنَاكُمْ وَلَنِزَعْتُمْ فِي الْأَمْزَلِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣].

١٢- الذين يُعولون على القوة في حربهم على الإسلام؛ كالذي يُعول على أسيف الخشب؛ بالطبع معهم الشيطان بخيله ورجله، لكن لو يعلموا أنه أول الفارين !! ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

١٣ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١] الألسنة البشرية صامتة في المغارم، فصيحة في المغانم، النفس البشرية هي النفس البشرية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]

١٤- ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿الأنفال: ١٨﴾ .. النتيجة التي تؤول إليها مخططات أعداء هذا الدين .

١٥- المعركة بين الحق والباطل؛ هي ضرورة من ضروريات الحياة؛ فهي الإجراء الوحيد لـ (للامتياز، والجمع، والرّفْم) : ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

كتابة مقالة تحت عنوان : " أسباب النصر والهزيمة في ظلال

بدر".





ويمين الله ! إن كانت هذه المعركة لكافية أن تكون

وصمة عار شوهاة في جبين اليهود على صفحات

التاريخ؛ أن أخرجوا من ديارهم في عورة امرأة

مسلمة كشفوها !



معركة بني قينقاع ..

دروس وعبر

١٥ لثوال سنة ٢ هـ -

٩ إبريل ٦٢٤.

\*\*\*

كانت هذه المعركة هي المواجهة العسكرية الأولى بين

المسلمين واليهود، وحدثت بعد انتصار بدر العظيم، فاعتمل

الغيظ في قلوب اليهود، وحقدوا على نصر المسلمين، وقد كان أولى بهم أن يفرحوا لهذا

الانتصار كما فرح المسلمون بانتصار الرومان في نفس السنة، كما كان أخرى باليهود -

أيضاً - أن يفرحوا للمسلمين؛ فانتصارهم هو انتصار لدعوة التوحيد، ولدين قريب

من دينهم، فضلاً عن كون هذا الانتصار جاء في صف الدولة الجديدة التي ينضوي

اليهود تحت لوائها، وقد وكتبوا وثيقة دستورية مع رئيسها - ﷺ - .

كل هذا يبين لك صورة طبيعية لجلبة اليهود، ذلكم الذين تحالفوا مع الوثنية ضد

نبي من أنبياء الله، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

وبُعِيد عودة النبي - ﷺ - من معركة بدر منتصراً مظفراً بفضل الله ورحمته، وقد

اهتزت المدينة طرباً لهذا النصر العظيم، وانتشر صيت المسلمين في أرجاء الجزيرة،

وامتلأت قلوب العرب مهابةً واحترماً للمسلمين، والله يزع بالسنان ما لا يزع باللسان،

وبينما كانت البهجة تظلل سماء المدينة إذ جاءت الأخبار السيئة تترأ عن صنائع اليهود،

فكان المسلمون يسمعون من اليهود من حين إلى آخر، ما يكدر الصفو، ويحرق القلب،

وما لا ينبغي أن ينطق به حليف لحليفه، وقد كانت العرب في جاهليتها تدين بالبر

والصلة لحلفائها.

ذلك لتعلم أن اليهود أينما كانوا عرباً أو فرساً أو رومًا هم هم اليهود؛ طبيعة اليهود،

وغدر اليهود، ورجس اليهود .. أينما تُقفوا؛ ضُربت عليهم الضعة والذلة، والفسق

والمسكنة، وباءوا بغضب الله ولعنته أينما راحوا وأينما حلوا، وقليلٌ منهم صادقون.

\*\*\*

## ✍ تحركات كعب بن الأشرف

إن العرف الأخلاقي يقتضي أن يفرح الحليف إذا انتصر حليفه على العدو الأكبر للدولة، ولكن يهود المدينة أظهروا الحقد والعداوة لحلفائهم المسلمين جراء انتصارهم على قريش الوثنية، إذ لما بعث رسول الله - ﷺ - حين فرغ من بدر بشيرين إلى أهل المدينة - زيد ابن حارثة و عبد الله بن رواحة - يبشران الأمة بانتصار المسلمين في موقعة بدر، فلما بلغ ذلك كعب بن الأشرف قال لمن أخبره : ويلك أحق هذا ؟ هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس [يعنى قتلى قريش ] ثم خرج إلى مكة، فجعل يبكى قتلى قريش، ويحرض على رسول الله - ﷺ - <sup>(١)</sup>.

وتولى كعب بن الأشرف كبره؛ فأخذ ينظم القصائد المسيئة للإسلام ونبي الإسلام وأزواجه - رضي الله عنهم - . إذ كان - لعنه الله - يتشبه ببعض نساء النبي - ﷺ - . وهو القائل لقريش : دينكم ( يعني الوثنية ) خير من دين محمد ( يعني التوحيد ) ، وقال : أنتم أهدى سبيلاً !

~~فنزلت فيه :~~

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ  
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١]  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ - .  
وَأُذِنَ فِي قَتْلِهِ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

~~نقض العهد~~

وكان القسط الأكبر من الشتائم والسب والاستهزاء يأتي من يهود بني قينقاع، فهم أقوى فصائل اليهود، وأغناهم، وأشرفهم، وأشجعهم . وقد جاءت الأخبار بنقض اليهود لوثيقة المدينة التي صدّقوا عليها، وحالفوا المسلمين بها، وتعاهدوا على تنفيذ بنودها؛ فذهب النبي ﷺ - إليهم بنفسه الكريمة في سوقهم - وكانوا صاغة وتجارًا في الذهب -، فوعظهم، وذكرهم بالله تعالى وقال :

(١) انظر: البيهقي: السنن الكبرى ٩ / ١٨٣ .

(۲) أخرجه البخاری (۲۳۲۷) .

\*\*\*السيرة النبوية\*\*\*  
 "يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! احْذَرُوا مِنْ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي رَسُولٌ مُجِدِّدٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ، وَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ" (١).

فردوا عليه ردًا يناسب أخلاقهم الدنيئة، وطبائعهم الدميعة، ونفوسهم الرجسة، وألسنتهم الدنسة، وقالوا: "يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ تَرَى أَنَا قَوْمُكَ! لَا يَغُرُّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً! إِنَّا وَاللَّهِ لَنَحْنُ حَارِبُنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسَ" (٢).

فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلْبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسْأَلُ عِلْمُهُمْ﴾ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ الَّتِي تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿[آل عمران: ١٢، ١٣].

وهم على جنبهم، دومًا، تراهم يتحدثون عن الشجاعة التي لا تعرفهم ولا يعرفونها، دومًا، تراهم يقولون نحن أقوى جيش، نحن أكثر نفيرًا، وهم على كثرة نفيرهم وسلطانهم الاقتصادي والإعلامي على درجة مريعة من الخوف والخور، ولتجدنهم أحرص الناس على أي حياة، بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى.

"قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلْبُونَ" .. فإنا أخ لا تبتس يومًا بنفير اليهود، ولا يهولنك أمرهم، فهو ككومة القش الذي تذروه الرياح في عشية أو ضحاها، وقد علمت من سنة النبي الكريم ﷺ - أنه سيأتي اليوم الذي سيباد فيه اليهود عن آخرهم، وتختبئ فيه بقيتهم الباقية وراء الحجر والشجر، وستنعم الأرض حينئذ لأول مرة بالأمان؛ إذ لم يبق منهم رجل واحد يدب فوقها.

\*\*\*

### التضييق الاقتصادي

لقد تحولت طوائف اليهود داخل المدينة إلى جماعات فتنة، تفرق بين المسلمين، وتنشر الشائعات والأكاذيب، وتفتن المؤمنين، وتلاعب بالأسعار كنوع من عقاب

(١) ابن هشام ٢ / ٤٦.

(٢) ابن هشام ٢ / ٤٦.

**كشف عورة امرأة مسلمة:**

\*\*\*

~~العلاج :~~

وهذا الصنيع المشين - الذي يتفق وجبله اليهود عليهم لعائن الله - يكونوا قد أكدوا نقضهم لعهد رسول الله - ﷺ - نقضاً عملياً، وباتت قضية وجوب التخلص منهم مسألة لا يَنْتَظَحُ فيها عَرْزَانِ .

إذ أن الإبقاء على يهود قنيقاع والعفو عنهم بعد فعلتهم هذه؛ أمرٌ يسيء إلى الإسلام نفسه، ويهين كرامة المسلمين، أن تركوا عورة مسلمة تُكشف بهذه الطريقة دون رد شافٍ كافٍ.

وقد نزل قول الله تعالى :

﴿وَأِمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾

فتحرك إليهم سيد الشجعان بجيشه، فاحصرهم - ﷺ - - خمس عشرة ليلة، حتى نزلوا على حكمه، في أموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكثفوا، وحينئذ قام حليفهم القديم عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، بمطالبة النبي - ﷺ - - بطريقة غير مهذبة - بإصدار العفو عن اليهود، فقال: يا محمد أحسن في موالي!

وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله - ﷺ - - فقال يا محمد أحسن في موالي! فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله - ﷺ - - فقال له رسول الله - ﷺ - - : "أرسلني!"، وغضب رسول الله - ﷺ - - لسوء تصرف المنافق، حتى رأوا لوجهه ظلاً، ثم قال: "ويحك أرسلني!!"، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدتهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر" .. فقال رسول الله - ﷺ - - : "هم لك" (١).

وعفا عنهم النبي - ﷺ - - ولم يأمر بقتلهم؛ نزولاً على رغبة زعيم المنافقين، وهذا من أرحمته ﷺ؛ على أن يخرج اليهود من المدينة إلى قيام الساعة، وقد أوكل أمرهم إلى حليفهم الصحابي الجليل عبادة بن صامت، وقد كان بمنزلة ابن سلول في حلفه مع اليهود، بيد أن الأول تولى الله ورسوله والثاني تولى اليهود، فقد قال ابن الصامت - رضي الله عنه - : "يا رسول الله أتتولى الله ورسوله - ﷺ - - والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم" (٢)، بينما فعل ابن سلول ما قد رأيت، وقد نزل في هذه القصة التي أبانت إيمان عبادة بن الصامت ونفاق ابن سلول آيات بينات من سورة المائدة، قال الله تعالى فيها :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ

مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ

(١) ابن هشام ٢ / ٤٨ .

(٢) ابن هشام ٢ / ٤٩ .

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ  
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

[المائدة: ٥١، ٥٦]

\*\*\*

وأشرف الصحابي الفاضل عبادة بن الصامت على عملية إجلاء يهود قينقاع، وطلبوا التنفس والمهلة، فقال الذي تولى الله ورسوله: ولا ساعة من نهار! وقد حدد لهم رسول الله - ﷺ - ثلاثة أيام يخرجون فيها عن بكرة أبيهم، ولا زال عبادة بن الصامت يسوقهم أمامه كالخرفان، يُخرجهم خارج المدينة كالجرذان، إلى الطريق المؤدية للشام، حيث لحقوا بأذرع واستقروا بها، وهي مدينة تجارية شامية، تابعة الآن لدرعة بسوريا.

\*\*\*

هذه المعركة درسٌ عملي في الولاء البراء، الذي هو من حقوق التوحيد، والذي هو أوثق عرى الإيمان.

والولاء يعني مناصرة الله ورسوله والمؤمنين، وإعانتهم والسكنى معهم. والبراء؛ أن يقطع المؤمن صلته بالكفار، ولا يحبهم، ولا يناصرهم، ولا يقيم في أوطانهم إلا لضرورة.

وعقيدة الولاء والبراء - بذلك - تحرم علينا التعاون مع الكفار ضد المسلمين، كأن نفتح لهم أرض الإسلام يسرحون فيها لنشر الأمراض الفتاكة، أو يبنون على الأراضي الإسلامية القواعد العسكرية التي تنطلق منها الطائرات لضرب المسلمين هنا وهناك، وهي تحرم علينا أيضاً عقد الصفقات التجارية مع العدو المحارب، أو العدو المحتل، فضلاً عن تصدير ثروات البلاد الطبيعية إليهم - كالغاز ونحوه - بأي سعر كان.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي

قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢٤﴾

[المجادلة: ٢٢].

وعقيدة الولاء والبراء، تحرم علينا أيضًا أن نخذل إخواننا المستضعفين، أو أن نتركهم يقاتلون وحدهم في الميدان، فضلاً عن حرمة منع المعونات عنهم، أو إغلاق المعابر دونهم، أو شن الحرب الإعلامية على جهادهم، أو تشويه صورة أبنائهم وقادتهم . وقد قال تعالى ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

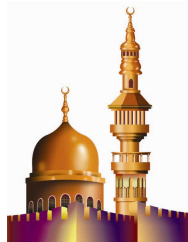
١- احرص دومًا على أن تحب في الله وأن تبغض في الله .

٢- مدرسة حول هذا السؤال : " كيف كان الولاء والبراء هو أوثق عرى الإيمان ؟ " ، وذلك في ضوء الحديث الشريف " أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله " (١)

٤- مدرسة سورة المائدة، حفظًا وتفسيرًا، فإن كسلت فلا

يفوتتك رُبُع : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

أولياء " ، وربع : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود " .



(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١ / ٢١٥) ح ١١٥٣٧، وهو في السلسلة الصحيحة ٩٩٨ .

إنها غزوة السويق، وأجدر بنا أن نسمي هذه الغزوة بقرصنة السويق، فقد هاجم المشركون مراعي المدينة المنورة فجئة، وأفسدوا فيها خلصة، وقتلوا فلاحًا يزرع في أرضه غدرا .



**قرصنة السويق**  
**الأحد ٥ ذو الحجة ٥٢هـ**

**٢٨ مايو ٦٢٤ م**

أما عن البُعد الزمني لهذه القرصنة، فهي كانت بعد معركة بدر بشهرين، إذ هُزم المعسكر الوثني شر هزيمة، وخسروا في أرض بدر سادات مكة، حيث دُفن عشرات الصناديد في قليب بدر وكان منهم عمرو بن هشام وعتبة وشيبة وأمّية وغيرهم من سادات مكة .

**ليسوا سواء**

ورجع قُلّ الوثنيين إلى مكة موتورين محزونين مقهورين؛ فنذر أبو سفيان ألا يمس رأسه ماء، ولا يغتسل من جنابة - وكان قد حرّم على نفسه الطيب -، حتى يغزو المسلمين في عقر دارهم فيقتل منهم كما قتلوا من المشركين، فخرج في مئتي مقاتل ليبرّ يمينه، حتى نزل إلى جبل قرب المدينة يقال له ثيب، فعسكر هناك، ثم خرج من الليل فأتى حبيّ بن أخطب - أحد زعماء اليهود -، فضرب عليه بابه فرفض أن يفتح، فلا يجوز له كفائد فصيل من فصائل الدولة أن يستقبل على أرض المدينة عدواً من أعداء المسلمين، فذلك محض خيانة، فأنصرف أبو سفيان عنه.. ورجع عن بابه أسيفاً مطروداً. ثم ذهب أبو سفيان إلى سلام بن مشكم - وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك - وكان رئيس خزانةهم - فاستأذن عليه فأذن الملعون له فأطعمه وسقاه خمرًا، وقام سلام بدور الجاسوس الخائن لوطنه، وكشف له عن أسرار المسلمين، وبحث معه إحدى الطرق لإيقاع الأذى بالدولة، ولم تكن المخابرات الإسلامية غافلة عن ذلك ..

\*\*\*

والموقف الأول من حبي بن أخطب، يبين لك كيف كانت معاملة النبي ﷺ - للأقليات الدينية في المدينة، من حسن خلق، وكريم فضل، وتعاون على الخير؛ فضلاً عن تلك الوثيقة التي جمعت بين المسلمين والفصائل الأخرى والتي كان من شروطها الواضحة :







بيد أن هذه الاتفاقات صارت حبراً على ورق، ونظرة واحدة إلى سلوك الجيش الصهيوني في فلسطين - أو نظرة واحدة إلى سلوك الجيش الأمريكي في العراق - تكفي لإقناعك أن هذه الاتفاقات صارت شعارات، لا مكان لها في ميادين القتال، إنما ميدانها في أروقة النخب المثقفة، وقاعات المؤتمرات المكيفة .

### سُرعة الرد

فلما قام الجيش الوثني بهذه القرصنة - غير الأخلاقية - بغتة على حدود المدينة، وأحرق ونهب وقتل.. نَدَبَ نَبِيْنَا - ﷺ - فوراً، وخرج سراعاً في مائتين من المهاجرين والأنصار - يوم الأحد الخامس من ذي الحجة من العام الثاني - فِي طَلَبِهِمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ - وَهُوَ أَبُو لُبَابَةَ - ، فلا زال سيد الشجعان يطاردهم حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا ، فَقَدْ هَرَبَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ <sup>(١)</sup> .

ولقد أحس المشركون بالطلب فجدوا في الهرب، فلما أحسوا بالخطر أخذوا يتخففون من الأزواد التي يحملونها حتى تمكنوا من الفرار.. ووجد المسلمون أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون و طَرَحُوهَا فِي الْحَرْثِ ، وعامتها جرب فيها سويق <sup>(٢)</sup> ، فأخذها المسلمون، فسميت غزوة السويق .

\*\*\*

وفي هذا الموقف دلالة على يقظة القائد الإسلامي وتعبه لأي محاولة نهب أو إفساد من قبل العدو في أرض الإسلام..

ورد فعل النبي - ﷺ - بملاحقة ميلشيات العدو دلالة على تجريم أسلوب النهب والسلب والتعدي على المدنيين والزراع ..

\*\*\*

وفيه أيضاً، صورة من صور الشجاعة المحمدية، فأنت ترى في هذا المشهد كيف يركض سيد الشجعان - ﷺ - وراء الجيش الهارب، وقد انبث الرعب في أحشاء المجرمين، وقد بلغ بهم الفرع أن ألقوا أزوادهم ليتخففوا، ويطلبهم وكأننا لا يريد أن

(١) انظر : ابن هشام ٢ / ٤٤ .

(٢) وهو قمح أو شعير تمص ثم تطحن باللبن والعسل والسمن .

تأويهم أرض ولا جبل، كأننا لا يرضي أن يمر اللقاء دون تصافح بيض الهند واللمم، وهو القائل: "نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ" (١).

وقال عنه أمير الشعراء:

وإذا مشيت الى العدا فغضنفر\*\* وإذا جريت فإنك النكباء

وإذا غضبت فإنها هي غضبة\*\* في الحق لا كبر ولا ظفناء

حرص الجندي على ثواب الله:

ولمّا لم يتمكن الجيش الإسلامي من القبض على المجرمين، بعد أن استمر رسول الله - ﷺ - في مطاردتهم وقد غاب عن المدينة خمسة أيام. خشي الأبطال أن يجرموا ثواب الله، لفشل هذه المناوشة، فقالوا - حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْطَعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً؟ .. قَالَ: "نَعَمْ" (٢).

وفي ذلك درس في استحضر ثواب الله على القليل والكثير في أمر الجهاد، والحرص على ثواب الله في كل أحوال القتال، في النصر والهزيمة، أو في نجاح المهمة أو فشلها. وفي هذا المشهد - أيضاً - منقبة عظيمة للصحابة، ودليل على حسن بلائهم، وعظيم جهادهم، وسمو إخلاصهم، ورغبتهم الشديدة في النوال الأخروي.

هذه الغزوة:

- درس في إعلاء قيمة النفس المسلمة، والدماء المسلمة، إذ لما قُتل المزارع المسلم ندب القائد جيشاً لملاحقة المجرمين.

- ودرس في إعلاء قيمة الحدود الجغرافية للدولة الإسلامية، حيث رأينا فور وصول الخبر إلى القيادة الإسلامية أن جيش العدو على حدود الدولة؛ لم يتأخر القائد ولم يتوان ولم يعط الدنية في دينه.

- ودرس في إعلاء قيمة الشجاعة، وضرورة التحلي بأخلاق الجسارة، وتنشأة النشء على خصال الجراءة، والإقدام والبسالة، ودراسة مناقب الشجاعة في حياة النبي - ﷺ - إضافة إلى قراءة تراجم كبار الشجعان على مدار تاريخ الإسلام، أمثال عمر بن

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣).

(٢) ابن سيد الناس ١ / ٣٩٠.

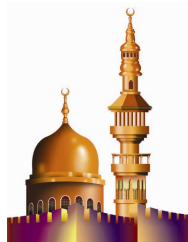
الخطاب وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد والقعقاع، والفتاح والداخل وألب أرسلان، وصلاح الدين وقطر وعز الدين القسام.

### ومضت

للسجاعة طعم شهبي، ولون بهي، وصوت شجي، وحلاوة الشجاعة أعظم لذة من ركوب الفاره وتبطن الحسنة ولبس اللين وأكل الطيب . وتالله إن المعمارك جمام الشجاع . وأرض القتال هي رقعة الفسيحة وعرصته العريضة . وتالله إن الشجاع في كبريائه أعظم بهاءً من ملك يترفل في حلته بين بطانة عرجاء ونخبة عمياء .  
يا حرة قلبي .. يا دموعي السخينة على شبان أمتي، خور وجبن، وضعة وحطة .  
ناموا عن قضيتهم، ونسوا رسالتهم، إلا من رحم الله، "فلا نامت أعين الجبناء"!

١\_ إياك والجبن والخور .. وإذا جئت نفسك في موقف؛ فأدبها بمواقف حتى تنقاد لك طائعة باسلة .

٢\_ استعذ بالله من الجبن، وعليك بأذكار الصباح والمساء والتي منها : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرِّجَالِ".





ميلاد الحسن بن  
علي النصف من  
شهر رمضان ٣هـ

\*\*\*

ولما ولد الحسن، عق عنه رسول الله - ﷺ - بكشين وخلق رأسه وأمر أن يصدق  
بوزن شعره فضة على الأوقاص من المساكين<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال كنت مع رسول الله - ﷺ - في سوق من أسواق المدينة فانصرف فانصرفت فقال : « أين لكع - ثلاثا - ادع الحسن بن علي » .  
فقام الحسن بن علي يمشى وفي عنقه السَّخَابُ<sup>(٤)</sup> ، فقال النبى - ﷺ - : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ »<sup>(٥)</sup> .

عن البراء بن عازب قال: رأيتُ الحُسن بنَ عليٍّ على عاتقِ النَّبيِّ ﷺ - ... (٦)

عن إِيَّاسَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ؛ بَعَلَّتْهُ الشَّهْبَاءُ حَتَّى أَدْخَلَتْهُمُ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ - هَذَا قَدَّامُهُ وَهَذَا خَلْفُهُ<sup>(٧)</sup>.

(٢) أحمد: برقم ١٣٧١، وهو في السلسلة الصحيحة .

(٣) انظر : السيرة لابن حبان ١ / ٢١٦ .

(٤) السَّخَابُ قِلَادَةٌ تُتَّخَذُ مِنْ قَرْنُفُلٍ، تَكُونُ لِلصَّغَارِ .

(۵) البخاری، برقم: ۵۴۳۴.

(٦) مسلم : ٤٤٤٧ .

(۷) مسلم: ۴۴۴۹.

شبيهه النبي - ﷺ :-

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ : صَلَّى أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْعَصْرُ ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ : يَا بِي ! شَبِيهُ بِالنَّبِيِّ لَا شَبِيهُ بَعَلِّي ! وَعَلَيَّ يَضْحَكُ !

من دلائل النبوة :

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

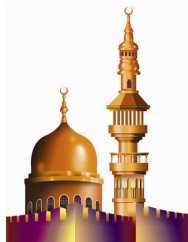
أَخْرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : " ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ! وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " (١).

وقد تحققت هذه النبوءة في سنة ٤١ هـ، حيث تنازل الحسن عن الخلافة لسيدنا معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فصار أهل العراق وأهل الشام تحت إمام واحد، وسمي هذا العام عام الجماعة.

سؤال :

هذا الصحابي العظيم، تنازل عن الخلافة من أجل توحيد الصف الإسلامي، فماذا صنعت أنت للوحدة الإسلامية وللخلافة الإسلامية، وبماذا بذلت وضحيات ؟

ملاطفة طفل، والدعاء له. وحبذا المسح على رأس اليتيم



إن هذه الغزوة بلغت من الأهمية أن أفردَ الله لها شرطاً من سورة آل عمران - إحدى السبع الطوال -، تلك المعركة التي تناولها الله - جل جلاله - بالتحليل والتعقيب، واستخلصَ منها بنفسه - سبحانه - دروساً وعبراً .



### معركة أحد

السبت ١٥ للوال ٣ هـ -

٣٠ مارس ٦٢٥ م

استعدادات واستخبارات

وي ! كأن الله أراد أن يجعل من معركة أحد درساً خالداً، ومعلماً تالداً، حياً باقياً إلى أبد الأبدين - ليتعظَّ المسلمون بوخامة معصية الرسول - ﷺ -، وليعلمَ الناس أن نواويس الله لا تحابي أحداً، وأن النصر من عند الله، وأن الشهداء من اختيار الله، وأن الشورى فريضة على المؤمنين، وأن التضحية ضريبة للتمكين، وأن البطولة مُكرَّمة للمجاهدين، وأن النفاق لا يحيق إلا بأهله، وأن اليهود تعاطفوا مع الوثنية، وتحاملوا على الإسلام...

\*\*\*

### ملخص الغزوة

سببها أن قريشاً أرادت أن تثار ليوم بدر، وأن تُأمن تجارتها الشامية من هجمات المسلمين، وأن تسترد مكائنها التي اهتزت بعد بدر، فقد كانت هزيمة قريش في بدر فضيحة إقليمية بكل المقاييس، فشأن قريش في حربها على المسلمين شأن غيرها في الحرب الإسلام؛ إما من أجل العقيدة الباطلة أو من أجل المال والنهب أو من أجل القتل والثأر .. فما زالت قريش تستعد، وتجمع المال والرأي، حتى تجهزت لغزو المدينة، فخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم سبع عشرة امرأة لتحميمس الجنود، ثم ساروا حتى وصلوا شمال المدينة، قرب جبل أحد، ونزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - على رأي الجماعة، وقرر الخروج بالجيش لملاقاة العدو خارج المدينة عند أحد، في نحو ألف من المسلمين، وفي الطريق انخزل جماعة من المنافقين ورجعوا، فصار عدد المسلمين سبعمائة رجل فحسب، ثم مضى الرسول - ﷺ - حتى وصل إلى ساحة أحد، فجعل ظهره للجبل ووجهه للمشركين، ونظَّم الجيش، وكتَّبَ الكتائب، واختار خمسين من الرماة، ليحموا ظهر الجيش، مخافة التفاف المشركين على الجيش الإسلامي،



وحذر الرماة من ترك موقعهم بأي حال من الأحوال .. ثم ابتدأ القتال، فكانت الدائرة للمسلمين، فلما وقعت جماعة الرماة في العصيان وتركت موقعها، وانشغل المسلمون بجمع غنائم الدنيا، تحولت الدائرة للمشركين، فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم، وفر بعضهم، وانهزم أكثرهم، وقُتل خيارهم، وأصيب نبيهم، ومُثلَّ بشهادتهم .. فكانت معركة التأديب والتربية ...

كان هذا هو الموجز وإليك التفصيل .....

### ❦ فسینفقونها ثم تكون عليهم حسرة !

قال ابن هشام : " لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب [ أي البئر الذي دُفن فيه قتلى المشركين يوم بدر ] ، وَرَجَعَ فَلَهُمْ [ أي هاربهم ] إلى مكة ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بَعِيرَهُ - مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ ، وَعَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ؛ فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةً ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرًا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا ، ففعلوا . " (١) .

وفي هؤلاء الذين أنفقوا أموالهم في سبيل محاربة الإسلام نزل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

هكذا بدأ الوثنيون في التجهز لمعركة جديدة مع المسلمين، فشحذوا الهمم، ودفعوا الشعراء إلى تبني هذه القضية إعلاميًا، وكان على رأس هذا الحملة الإعلامية أبو عزة الشاعر، كما شن أصحاب المال حملة اقتصادية لجمع المال لمحاربة الإسلام في عقر داره، فأوقفوا أرباح تجارة شامية كاملة لهذا الغرض .

وانظر كيف ضحوا بالمال من أجل الحرب على الإسلام، وتأمل كيف بذلوا وأنفقوا من أقواتهم لقتل النبي ﷺ - وهذا دأب أعداء هذا الدين في زماننا هذا، فترى الواحد من رجال الأعمال الغربيين ينفق الملايين من أجل إنشاء قناة فضائية لتنشر

النصرانية ولتَنصَر المسلمين والإساءة لخاتم النبيين. فهذا هو جَلَد الفاجر وحماسه في الباطل!

ثم انظر إلى تخاذل بعض رجال الأعمال العرب (المسلمين) ممن ينفقون أموالهم على الفئانات والراقصات والحفلات والسهرات، فترى الواحد منهم يتهالك في إنفاق ملايين الدولارات على امرأة بغي، ولا ينفق قرشاً في نصرة النبي!

#### من آفات الجيوش

وخرج الجيش الوثني بكامل عدته وعتاده في ثلاثة آلاف، وكان فيه من ثقيف مائة عسكري، والمشركون بذلك أكثر نفيراً من المسلمين من حيث عدد العساكر، وكمّ السلاح، وعدد الظهور، والدعم الإعلامي بقيادة الشاعر أبي عزة، والدعم المعنوي النسائي بقيادة هند بنت عتبة التي حشدت كرائم قريش يحمسن الرجال، ويرقصن ويغنين، فكأنَّ يعقدن الحفلات في كل مستراح للجيش، حيث تدار الخمور ويزداد الغرور فوق الغرور، وكأنهم لم يتعظوا من خطر هذه المظاهر المفسدة التي وقع في برائتها أبو جهل حين أقسم يوم بدر [رمضان ٢ هـ]:

"والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور [أي الجمال] ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا."<sup>(١)</sup>

لم يستفد الجيش الوثني في أحد مما عزموا عليه من قبل في بدر؛ من حفلات النساء والخمر، فصدق فيهم قول الشاعر:

رب أصباح محزنات ... يتركها المرقص اللعوب

ففي الوقت الذي يبيت فيه جنودٌ - سامراً - يرقصون حول غانية، وآخرون حول القرآن قد اجتمعت قلوبهم، وقد كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، فحري بالنصر أن يكون من نصيب المتقين. وحري بالهزيمة أن تفر فرأباب الحنا والميوعة. ومن يتلذذ في المعصية؛ يتلذذ في الهزيمة.





طمثانية المسلمين، ومنع انتشار الفتن، وصد أي هجوم إعلامي من قبل العدو من شأنه بث الخوف والرعب في نفوس الناس.

إنها القيادة الحكيمة التي تدرك خطر الكلمة، التي تفعل ما لا تفعل القنابل . . .  
ومحمد - ﷺ - صاحب القدوة والمثل في التربية الأمنية الحقة، فانظر كيف استكنتم الكاتب أبي بن كعب، وكيف استكنتم القائد سعد بن الربيع، وأكد عليه أهمية كتمان خبر مقدم العدو. فتاريخ الحروب أثبت أن السرية من عوامل النصر. ثم كم روى التاريخ قصة امرأة تسببت في تسريب معلومة حربية، وكم سقط الجيش بسبب زوج قائد من القادة. إن المسلم عليه أن يتريض في كتمان الأسرار، وأن يتأدب بآداب الحروب التي منها المحافظة على المعلومات التنظيمية.

وفي الحديث **اِسْتَعِينُوا عَلَىٰ اِنْجَاحِ الْخَوَائِجِ بِالْكَتْمَانِ ...** (١).  
فمن أراد أن يهلك خطة؛ فليفشها، ومن أراد أن يفسد أمراً، فليشره قبل إحكامه، ومن آمن على سره؛ آمن من ضره، ومن لم يكتم السر فلم يستكمل الجندية، فسُر الجندي من دمه، فإن أفشاه أراقه، وأهلك إخوانه، ودمر أحبابه، والسبب في لسانه !  
وليكن - أخي - سر قائك في قلبك كأنها هو في سجن، وفي صدرك كأنها هو في حبس.. فأحلف لك بالله أن الصابر على السر كالمجاهد في الحر !

قال قيس بن الخطيم يمدح صديقاً له :  
كتوم لأسرار الخليل أمينها ... يرى أن بث السر قاصمة الظهر  
**الاستخبارات الإسلامية داخل جيش العدو !**  
وإمعاناً في متابعة أخبار العدو؛ بعث رسول الله - ﷺ - الحباب بن المنذر إلى جيش قريش ! نعم هكذا كان التكليف ! أن يخترق جيش الوثن متكرراً، وبالفعل نجح صاحب المواقف الحربية، فدخل فيهم، وحزر، وراقب، ونظر ..

**وقد قال له النبي - ﷺ - : وقد بعثه سرا - :**  
" لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة. " . فرجع الحباب فالحاً ناجحاً في المهمة، وأخبر رسول الله - ﷺ - خالياً قائلاً : رأيت يا رسول الله عدداً، حزرتهم

(١) أخرجه الطبراني، "الكبير" (١٦٦٠٩)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٥٣.

ثلاثة آلاف، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيـل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة، حـزرتها سـبعمئة درع. فقال رسول الله - ﷺ - : "هل رأيت ظعنًا [أي نساء]؟ قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار [أي الطبول]. فقال رسول الله - ﷺ - : "أردن أن يحرضن القوم، ويذكرنهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم (!) لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول" (١).

إن المعلومات التي رفعها الحباب - رضي الله عنه - تدل دقَّتْها وتفاصيلها على مدى الجهد الذي بذله الحباب، ومستوى الفدائية عند ذلك الأسد، إذ كيف تتأتى له هذه المعلومات بهذه الصورة إلا إذا اخترق الجيش الوثني بحق، متخفياً أو متنكراً، دون أن يُحدث فيهم حدثاً أو أن يكشفوا أمره .

#### متابعة الجانب المعنوي للعدو

وكان السؤال الأول الذي سأله النبي - ﷺ - للحباب كان عن نساء قريش وهل صحبن الجيش وكان الجواب أن نعم ومعهن الدفاف والطبول .. إن قائدنا يتابع الجانب المعنوي لجيش العدو، وقد كان تعليق القائد ، موضعاً الدور المنوط بهؤلاء النسوة اللاتي انتفضن وجعلن من الحرب على الإسلام قضيتهن ورسالتهن -أنهن أردن أن يحرضن الجيش، فالتحريض هو رُوح القتال أو كما قال الله تعالى : " وحرص المؤمنين"، وكانت النسوة يذكرن الجيش الوثني أغانيهن قتلى بدر .. فياليت البنت المسلمة تدرك دورها في خدمة الإسلام ! وتنظر إلى حماسة هؤلاء النسوة في الباطل !

#### تعدد مصادر الاستخبار

ويقول النبي - ﷺ - معلقاً على تقرير الحباب :

" هكذا جاءني خبرهم (!) ... "

فهذه الأنباء قد أتت إلى النبي - ﷺ - من مصدر آخر، لعله العباس أو أنس وأنيس ابنا فضالة - فقد أرسلهما يتنصتان أخبار قريش، أو من مصدر ثالث .. إن زعيمنا لا يأخذ معلوماته الاستخبارية من مصدر وحيد، بل من مصادر عدة، للتثبت والتأكد، والتوصل إلى صورة أوضح عن جيش العدو . وهذا كله يجعله يتقلد أزمّة الحرب الإعلامية .

وهو لا يزال في مرحلة السرية والكتمان التي تعقب التجهز للمعارك، فهو يقول للحباب :

" لا تذكر من شأنهم حرفاً " ..

الحسيب الوكيل

وكعادته إذا جمع الناس عليه لحربه أوتخزب عليه العدو قال : "حسبنا الله ونعم الوكيل" ...

وقد كانت من سنته - ﷺ - أن يقول وهو في طريقه للقاء العدو ،  
 " اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضْدِي، وَنَصِيرِي، بِكَ أَحْوَلُ، وَبِكَ أَصْوَلُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ " (١).  
 فالمسلمون لا يستعينون بغير الله على عدو الله، فلن ينصرهم أحد إلا الله، و"كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله"، فهو سبحانه المتفرد بمنح النصر أو منعه، "يعز من يشاء ويذل من يشاء"، لكنه كتب لينصرن من ينصره، فما لنا نذهب إلى غير الله نطلب النصرة وإلى غير شرعته نطلب التمكين، وقد وعد الله أن يستخلف الذين آمنوا كما استخلف الذين من قبلهم!

\*\*\*

علمت - أخي - في هذه الحلقة كيف أن أعداء الإسلام ينفقون الأموال في دعم حربهم على الإسلام.. فحري بك أن تنفق في سبيل نصره هذا الدين والعمل على تمكينه، والسعي وراء تحكيم شرع.

وعلمت - أخي - كيف أن حفلات المجون، وابتغاء نشر الخمر، تأتي دوماً خراباً وبياباً على أصحابها .

وعلمت أهمية (الكتمان) في تحقيق النصر، وتأمين الشعب، وتأهيل الجند، وإعداد العدة، فتعلم هذا الأدب الأخلاقي، وترى هذا العمل العسكري، وخذل دوماً عن إخوانك .

ثم عليك أن تعتقد أن الله هو الحسيب الوكيل، الذي لا يعدله نصير ولا ظهير، وأنه لا ناصر لنا إلا الله ..

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٦٢) وصححه الألباني .

- درب نفسك على الكتمان وحفظ الأسرار، وتذكر دومًا  
قول النبي - ﷺ : " لا تذكر من شأنهم حرفاً " ..





رُؤْيَا النَّبِيِّ - ﷺ -



التنوير والزحف

نحو أحد

لما سارت قريش لغزو المدينة، واقترب يوم الحرب، وأدرك المسلمون مدى الخطر المحدق بهم وبدعوتهم وبوطنهم - وقفَ رسول الله - ﷺ - على المنبر بين المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

"إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا ، رَأَيْتُ بَقْرًا ، وَرَأَيْتُ فِي دُبَابِ [ أي طرف ] سَيْفِي ثَلَمًا ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ ، فَأَوَّلَتْهَا الْمَدِينَةُ " ، وقال : " رَأَيْتُ بَقْرًا لِي تُذْبِحُ ! فَأَمَّا الْبَقْرُ فَهِيَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ ، وَأَمَّا الثَّلَمُ [ أي الاعوجاج الذي في السيف ] الَّذِي رَأَيْتُ فِي دُبَابِ سَيْفِي ، فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ " (١) .

ومثل هذه الروحانيات التي تهبُ نسماتها على المجاهدين، إنما تأتي للتبشير والتبصير، أما التبشير فهي - أي مثل هذه النفحات - تُثبت القلوب من أمر الله، وها هو القائد يقول مثبتًا ومبشرًا جنده : " إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا " ، فما كان من رؤيا صالحة فليذكرها القائد، وما كان غير ذلك فليكتمها ويتضرع إلى الله، وأما التبصير؛ فأنت ترى كيف كانت هذه الرؤيا تُبصر المؤمنين بخيار التحصن بالمدينة، فهي درعُ حصينة، ولكن قضاء الله ماضٍ، فلا يُجدي حذرٌ من قدرٍ، وإذا نزل القدر غشى البصر، وإذا نزل الحين غطى العين، وما يُغني الكيسُ مع قضاء الله شيئًا .

إن هذه الرؤى الصالحة ليست نصًا يغير واقعًا ، وليست شرعًا نلزم به الناس.. ولكنها تُبشِّر وتُبصر ، فهي في جو المعركة تكون بمثابة النّشر الطيّب، والأرج النافح، وهي... تفعل في القلوب الأفاعيل .

شعيرة الشورى

وأشار النبي - ﷺ - على قادة الجيش في الخروج أو البقاء، معبرًا عن رأيه قائلاً: " إِنَّا فِي جَنَّةِ حَصِينَةٍ " (٢) ، " فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا " (٣) .

(١) ابن هشام ٢ / ٦١ .

(٢) الطبري ٢ / ٦٠ .

(٣) ابن هشام ٢ / ٦٣ .

وكان رأي المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول مع الرأي القائل بالبقاء في المدينة، والحق أن رأي كبار الصحابة كان كذلك ؛ يفضلون التحصن بالمدينة، والاستعداد لحرب الشوارع. فكان هذا هو الرأي الصواب من وجهة النظر الحربية، أما رأي الشباب والمتحمسين فكان الخروج لملاقاة العدو، وانقسم الرأي بين مؤيد ورافض.

قال أصحاب رأي الخروج : "يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخْرِجْ بَنَّا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَا جَبْنَا عَنْهُمْ وَضَعْفَنَا". وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولَ : "يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَقِمِ بِالْمَدِينَةِ، لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ، مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعُوهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مُحْسِسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا حَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا" (١).

فبادر عدد كثير من فضلاء الصحابة - ممن فاته بدر -؛ فأشاروا على رسول الله بالخروج، وألحوا عليه .. وكان في مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -، الذي كان قد أبلى أحسن بلاء في معركة بدر - فقد قال للنبي - ﷺ - :  
" والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة" (١)،  
ثم انحاز غالب الرأي نحو الخروج، وكثر القائلون به، فنزل الرسول على رأي الجماعة،  
وتوجه على التو نحو بيته فليس سرايل الحرب.

ثم خرج رسول الله - ﷺ - إلى المسلمين في كامل عدته وسلاحه مدججًا، وكان إذا تسربل؛ فكأنها هو الليث في عرينه يسوق القطعان، أو الفارس العرندس يقود الفرسان.. وظن الصحابة أنهم استكروهوا رسول الله ودفعوه إلى التخلي عن رأيه، وندموا، وقالوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَكَرْ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ"، فَقَالَ سَيِّدُ الْفَوَارِسِ - ﷺ - في حسم وحزم -: "مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأَمْتَهُ [أى درعه] أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ" (٣).

(۱) ابن هشام ۲ / ۶۳ .

(۲) ابن هشام ۲ / ۶۳ .

(۳) ابن هشام ۲ / ۶۳ .

وحذر من شر التخبط في الآراء، والتردد في الأقوال دون الخلوص إلى الأعمال :  
"أَنْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، فَلَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ".<sup>(١)</sup>

هكذا كانت الشورى بين نبي مُرسل وشباب مُسلم، ونزل رسول الله -ﷺ- على رأي الجماعة، والله يعلم أنه لا حاجة له برأيهم، ولكنها الشورى؛ الفريضة الإسلامية بين الراعي والرعية، والشعيرة الإيمانية التي لا يحدها إلا كافر ولا يمنعها إلا فاجر. وكان جلياً؛ أَنَّ رَبِّي النَّبِيَّ أَصْحَابَهُ عَلَى حُرِيَةِ الرَّأْيِ، وَعَوْدَهُمْ عَلَى التَّصْرِيحِ بِوُجْهَاتِ نَظَرِهِمْ فِي الْقَضَايَا الْخَطِيرَةِ. الأَمْرُ الَّذِي يَدْفَعُ بِالوَاحِدِ مِنْهُمْ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، بَلْ تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يُعَدُّ لِمَشْهَدِ الشُّورَى مَقَالَتهِ، فَيَحْسِنُهَا وَيَجْهَرُهَا تَحْيِيرًا.

ولم نرَ - ولو لمرة - أَنَّ سَفَهَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- رَأْيَ رَجُلٍ مِنْ رَجَالَتهِ، أَوْ لَامَهُ، أَوْ أَنَبَهُ عَلَى رَأْيِهِ .

وما أعظم الشورى ! أَنَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْقَائِدَ بِهَا، صِرَاحَةً : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، ويجعلها الله من سمات الجماعة المسلمة، ويجعلها بعد إقامة الصلاة في الدرجة، فقال : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]

فالشورى تصون الجماعة من الفضيحة، وحصن لها من الندامة، وأمن لها من الملامة، وما هلكَت جماعةٌ عن مشورة، وما نجحت دعوةٌ قامت على الاستبداد في أصولها، بين القادة وجنودها . والجماعات على ثلاث في الشورى، جماعة عاقلة أقامتها، وجماعة مراهة تُعالجها، وجماعة باثرة لفظتها ..

وأحوج ما يكون أهل الشورى إلى آراء الشيوخ وأصحاب الخبرة -مِمَّنْ ركبوا الأهوال، وتجشموا الصعاب -، فقد أحنت ظهورهم التجارب، وشابت رؤوسهم في الحوادث .

وإياك - أيها المسؤول - ومشاورة الجبان الخليع، والسفيه الوضيع، ومن فعل ذلك كان كمن دَلَفَ إلى الحمار فأتاه وسلم عليه وسأله في مسألة من مسائل الفقه ! ثم اعلم

أن للشورى مشقة، فهي تحتاج إلى قائد صبور بصير، يرجو من وراء هذه المشقة منافع الشورى، ومن ثم على القائد أن يُنحَى عن نفسه الأنفة، والحمية، والعجرفة، والجمخ، والغطرسة، فإذا وَطَنَ نفسه بعد ذلك على الصبر؛ حمد غَبَّ رأيه، وشكر عاقبة أمره .

#### ✍ التحذير من التردد بعد العزيمة :

وفي قول النبي - ﷺ - : " مَا يَتَّبِعِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأُمَّتُهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ " (١) درس آخر لجند الله؛ في عدم التردد بعد العزيمة، وعدم التشتت بعد الاجتماع على الرأي.

فهم قد عقدوا مجلس الشورى، وقد كانوا مختلفين بين الخروج أو البقاء، ثم أجمعوا أمرهم على الخروج، وهكذا تمت شعيرة الشورى بسلاسة وسلامة، فلا يليق بالمؤمنين بعد ذلك، أن يعودوا من حيث بدأوا، وأن يترددوا بعدما ثبتوا، وأن تتفرق كلمتهم بعدما اجتمعوا.

وأنت يا عدو نفسك ! يا من لا يقر له رأي، ولا يثبت على وجه .. يا من أفسدت الشورى، فلا أنت تركتها تمضي دون ذرع العقبات، ولا أنت شاركت فيها بفاعلية وصدق - أهيب بك ألا تركت مجلسنا إلى مجلس آخر، فلقاء الشورى لا يعرف المُعوِّقين ولا يجب المترددين .

#### ✍ صفة الخروج

وعقد رسول الله - ﷺ - الألوية، وعين الأمراء، ودعا بفرسه فركبه، وخرج السعدان أمامه، يعدوان : سعد بن عباد، وسعد بن معاذ، كل واحد منهما دارع، وتوجه الجيش الإسلامي، في موكب مهيب، حتى أتى مكان يسمى " الشيخين " - قرب جبل أحد - فعسكر به ....

إن تنظيم هيئة الخروج؛ من أشد المعينات النفسية، ومن أهم العوامل العنوية لشحذ الهمم، وعلى الجيش الإسلامي أن يسير إلى عدوه في كبرياء وعزة، ونظام وقوة. إن الله يكره الكبر إلا في هذا الموضع !

### لا يُستنصر بأهل الكفر

والتفت - رسول الله - ﷺ - فنظر إلى كتيبة خُشْناء<sup>(١)</sup>، لها زجلٌ خلفه<sup>(٢)</sup>، فقال: ما هذه؟ قالوا: يا رسول الله، هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود. فقال رسول الله - ﷺ - : "لا يُستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك"<sup>(٣)</sup>.

ولقد رأينا مثل هذا المشهد في بدر، فكان رسول الله - ﷺ - قد رد متطوعين وثنيين، أما هنا في أحد، فنراه قد ردَّ كتيبة يهودية خُشْناء كاملة.

إنها حرب من أجل العقيدة، وجهاد من أجل التوحيد، فلا يليق بالجيش الإسلامي أن يستعين في معركته هذه بأناس ضد العقيدة وضد التوحيد، ثم إن الإسلام يريد أن يتحمل أتباعه تبعة الجهاد وحدهم، فلن ينصر هذا الدين غيرهم، وهو أمانة في أعناقهم.

ثم إن اليهود، قومٌ لا عهد لهم ولا وفاء، ولو ائتمن القائد الإسلامي أهل الملل والنحل قاطبة؛ فليس من العقل ولا من الحكمة أن يثق في اليهود، والقائد الذي يثق في اليهود؛ كان كالطائر الذي نصب حباله لأفراخه فأخذها الصائد عن غير كد ولا تعب . ولعل رسول الله - ﷺ - بادر بطردهم في حركة استباقية منه؛ قبل أن يغدروا، أو يفروا، أو يرجعوا، مع حليفهم ابن سلول وجماعة المنافقين، في حركة خذلان المنافقين للجيش الإسلامي كما سيأتي.

### أشبال الإسلام

وعُرض على النبي - ﷺ - غلمان الجيش، فكان منهم : عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسماء بن زيد، والنعمان بن بشير، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعرابة بن أوس، وأبو سعيد الخدري، وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج، فردهم، لصغر سنهم ..

وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له: إنه رام، فبلغ ذلك سمرة بن جندب - صنوه في السن والقوة - وقد رده النبي - ﷺ -، فذهب - باكياً - الى زوج أمه مربي بن سنان بن

(١) أي كثيرة السلاح .

(٢) أي ذات بلاء في الرمي .

(٣) انظر : الواقدي : ٨٢ .

ثعلبة، يستشفع به عند رسول الله - ﷺ - ، فقال سمرة: يا أبت أجاز رسول الله - ﷺ - - رافعاً وردني، وأنا أصرع رافعاً! فأقبل مري بن سنان على رسول الله - ﷺ - - يراجعه في أمر سمرة، فالتفت النبي - ﷺ - - الى رافع وسمرة فقال لهما تصارعا، فصرع سمرة رافعاً فأجازه كما أجاز رافعاً.

وهو مشهد يبين لك كيف كان مستوى شعور الشباب بقضية الإسلام، وكيف أن الغلمان في صدر الإسلام بلغوا مبلغاً عظيماً في الشجاعة وحب الجهاد والسعي نحو الاستشهاد.

إن هؤلاء الرجال الذين هم في سن صغيرة يعرفون جيداً الوجهة التي يطلبونها، وهي ليست نزهة أو رحلة ترفيهية، إنه القتال، فأحرى بنا؛ أن نغرس في نفوس أولادنا، حب الجهاد في سبيل ربنا .

ولتربّي أشبال الإسلام على قيم الشجاعة، وليحفظوا أن الشجاعة وقاية، والجنبن مقتلة، وأن الشجاع موقى، والجنبان ملقى، وأن أعظم الجود أن نجود بالنفس في سبيل الله . .

#### قال جرير:

قل للجنبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجي

#### من صفات المنافقين الانخذال عن الأمانة وقت الشدة :

ولما وصل الجيش الإسلامي إلى الشَّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ بِثُلُثِ الْجَيْشِ وَقَالَ: أطاع الولدان ومن لا رأى له وعصاني، مَا نَذَرِي عَلامَ نَقُتْلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ ! ؟ فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ ، وحاول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ - والد جابر - تذكير هؤلاء المنافقين بواجبهم الشرعي والوطني في هذا الظرف الحساس، فتبعهم وهو يوبخهم ويحضهم على الرجوع، ويقول: يَا قَوْمَ أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ الَّا تَتَّخِذُوا قَوْمَكُمْ وَبَنِيَكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ ! فَقَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يُكُونُ قِتَالٌ . فَلَمَّا اسْتَعَصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنْصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ : أَبْعِدْكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ فَسَيُعْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ <sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

﴿ وَقَالَ فِي الْجَبَنَاءِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَنْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]

إن هذه الحركة الانخدالية التي بيّت لها هؤلاء المنافقون، تدل على مكنون ضغنهم على الإسلام، وكون هذه الحركة تهدف بالأساس إلى إحداث البلبلة والاضطراب في صفوف الجيش الإسلامي، ولو صدق ابن سلول فيما زعم أنه راجع لأن رسول الله - ﷺ - أخذ برأي الجماعة وترك رأي ابن سلول - لانعزل عن الجيش منذ بداية سيره .

﴿ قَالَ الطَّائِي :

قد خص من أهل النفاق عصابة ... وهم أشد أذىً من الكفار  
فليحذر الدعاة - لدعوتهم - من أهل النفاق : أهل الشقاق ومساوىء الأخلاق .  
فشر الإخوان؛ الخاتل، الخاذل لأخيه عند المدلهمات .  
وخفّض عليك أيها الداعية، إذا تأمر عليك المنافقون، وأفسدوا عليك الناس، فإن الدعوة ماضية، والغلبة آتية .

﴿ الْأَعْمَى الَّذِي سَبَّ النَّبِيَّ - ﷺ -

وفي الطريق عزم رسول الله - ﷺ - على المرور بمزرعة لرجل منافق ضريع، وأخذ هذا يسبّ النبي - ﷺ - وينال منه ، وأخذ في يده حفنة من تراب وقال - في وقاحة - للنبي - ﷺ - : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ! حتّى هم أصحاب النبي - ﷺ - بقتل هذا المنافق المجرم، فأبى عليهم - نبي الرحمة - وقال :  
" دَعُوهُ ! فَهَذَا الْأَعْمَى ، أَعْمَى الْقَلْبِ ، أَعْمَى الْبَصِيرَةِ " .<sup>(١)</sup>

إن الإساءة للرسول - ﷺ - من الكبائر الكبار، ولا جزاء لمن سب الرسول إلا القتل، بيد أن نبي الرحمة عفى وغفر في هذا الموقف على سبيل الاستثناء لعاهة المسيء .

ولقد أجمع علماء الأمة سلفهم وخلفهم على وجوب قتل من سب رسول الله ﷺ -

والمسيء للنبي يُقتل دون استتابة ، قال الإمام مالك : " لا يُستتاب من سبَّ النبيَّ - ﷺ - من الكفار والمسلمين " (٢) .

✍ وقال الليث بن سعد: " لا يُنَظَر ولا يُسْتَتَاب ويُقْتَل مكانه" <sup>(٤)</sup>.

"ولا يُستتاب" .. فلا مهلة له لمراجعته، ولا يترك أيامًا عله أن يتوب .. ومن ثم :  
 "يقتل مكانه" .. فجزيمته النكراء وكفرته الصلعاء بلغت مبلغًا حده ألا يُترك  
 المسيء لحظة واحدة بعد أن تعرض لجناح النبي - صلوات الله وسلامه عليه - .

وهكذا كانت هذه الحلقة..

(٢) الذهبي: أعلام النبلاء ٨/ ١٠٣ .

(٣) التاج والإكليل، لمختصر خليل، ٢/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٢٧٥ / ٤ .



- أن الأحلام والرؤى المنامية ليست من أدلة الأحكام الشرعية وإنما هي للتبشير أو التبصير.

- وأن الشورى ركن من أركان العلاقة بين الراعي والرعية، وأنها مُلزمة لمن تأمر على الناس، وأنها لا يقيمها بها إلا بار، ولا يدعها إلا جبار، ولا يجدها إلا كفار.

- وأن التردد بعد العزيمة، والرجوع في الأمر بعد الإجماع عليه، والانخزال بعد الشورى، من آفات التي تهدم العمل الجماعي، وتفشل العمل الدعوي، وتذهب ريح المسلمين، وتقوي شوكة الكافرين. فتعلَّم - أخي - الحزم والحسم في الأمور.

- وأن الجيش القليل المنظم خير من الكثير غير المنظم، وأن ريح النظام أقوى من جبال الفوضى، وأن هيئة القائد ينبغي أن تكون على درجة عالية من الوقار والتوقير، والتبجيل والتعزير. فتعلَّم - أخي - فنون التنظيم والعمل الجماعي.

- وأن اليهود قوم بُهت، لا يُؤتمن لهم لا في حرب ولا في سلم، وأن الاستعانة بالمشرك في جيش مع المسلمين مفسدة، وأن الاستعانة باليهود في صفوف المسلمين مهلكة. وحُوشيت - أخي - أن تنخدع باليهود يوماً من الأيام!

- وأن الأطفال إذا لم يتربوا على الشجاعة عاشوا جبناء، وإذا لم ينشأوا على الجهاد كبروا أذلاء، وحرَّيُّ بالآباء والمعلمين أن يتعهدوا الأولاد بمدارس الغزوات، وأن يتعلم المسلم الصغير الغزوة من الغزوات، والسرية من السرايا، كما يتعلم السورة من القرآن.

- وأن الإساءة لنبي الرحمة، جريمة لا نعرف لها نظيراً، وهي تُوجب القتل حداً فوراً، وأن التحاور مع قادة الحملات الإعلامية المسيئة للنبي

- ﷺ - غير جائز من الناحية الشرعية. فنافح دوماً عن عرض نبينا - ﷺ -.

١- اشرح غزوة أحد لصبي من صبيان المسلمين.

٢- إياك وأخلاق المنافقين التي حذر منها النبي - ﷺ -:

إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِنَ خَانَ، "وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ" (١)



جبل أُحد<sup>s</sup>

ونرى حصافة القائد في حُسن اختيار موقع النزول بجيشه في أرض المعركة، حيث وظف جبل الرماة (وهو جبل عينين) في حماية ظهر الجيش .

(٣) الجلسة ٤٩٦ / ٢ .

كما أن المسلمين كانوا مشاة بينما يتفوق المشركون عليهم بسلاح الفرسان بقوة مائتي فارس، هم في مقدمة الجيش الوثني .. فأراد الرسول - ﷺ - تخفيف حدة هذه القوة، فكانت فكرة الرماة لدفع الخيل، ولمنع الالتفاف حول الجيش، ثم اختار النبي - ﷺ - مساحة ضيقة من جبل أحد بحيث يمنع الجيش الوثني من الهجوم بكامل قوته أو الدخول بكامل واجهة الجيش.

إذن تمكن الرسول - ﷺ - من إحداث التعادل مع خصمه في ميزان القوة العسكرية بهاتين الطريقتين: الأولى، كتيبة الرماة، والثانية، النزول بالجيش في الشعب من موضع جبل أحد في عدوة الوادي، وقد جعل من ظهر الجيش جبل أحد.

#### ❦ عدم القتال إلا بأذن القائد :

ولما اقتربت ساعة الصفر، قال النبي - ﷺ - : " لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالْقِتَالِ " <sup>(١)</sup>.

فلابد من توحيد القيادة، واحترام القائد، والسمع له والطاعة . ثم إن التهور في المبادأة يترتب عليه ضرر كبير يلحق بالجيش كله، فيهلك المرء نفسه وجماعته، ويسيء لنفسه ولدعوته، وتهتز صورته وهيبته قائده . وسوء الاستماتة خير من حسن الصرعة . وليس الحذر يقي من القدر فكيف التهور !

#### ❦ حسن النظام والتنظيم :

إن من أشد الأسلحة التي ترهب العدو؛ النظام، ودقة الصفوف، وجمال التنسيق.. فقد جعل رسول الله - ﷺ - يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، يُسَوِّي الصُّفُوفَ، وَيُبَوِّئُ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ، يَقُولُ : "تَقَدَّمْ يَا فُلَانٌ وَتَأَخَّرْ يَا فُلَانٌ..." حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى مِنْكِبِ الرَّجُلِ خَارِجًا فَيُؤَخِّرُهُ، فَهُوَ يَقُومُ مَعَهُمْ كَأَنَّمَا يَقُومُ بِهِمُ الْقِدَاحُ ! حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ الصُّفُوفُ، سَأَلَ مَنْ يَحْمِلُ لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ ؟ قِيلَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ . قَالَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ . أَيْنَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ؟ قَالَ هَا أَنَا ذَا ! قَالَ : " خُذِ اللَّوَاءَ " ، فَأَخَذَهُ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَتَقَدَّمَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - <sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام ٢/ ٦٥ .

(٢) الواقدي ٢٢١ .

وقام رسول الله - ﷺ - بتقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب، هي:

- ١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير - رضي الله عنه -.
- ٢ - كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر - رضي الله عنه -.
- ٣ - كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير - رضي الله عنه -.

أهمية التوجيهات الأخلاقية والإيمانية قبل المعركة :

إن العرف في الحروب القذرة، هو تشجيع الجنود على السلب والنهب وهتك الأعراس وسفك الدماء، بلا رحمة أو مراعاة لطفل أو امرأة أو شيخ .. نلاحظ ذلك في حروب الماضي والحاضر، وخير شاهد على الماضي تلك الحروب الصليبية التي أوصت بقتل الأطفال والشيوخ والنساء بل قتل الحجاج والنساك، أما الحاضر، فليست حروب الصهاينة في فلسطين منا ببعيد، حيث هدم المنازل، وتجريف المزارع، وضرب المساجد، وقتل الأطفال، وأسر النساء . أما الأمريكان، فقد بلغوا مبلغاً شنيعاً في الحروب القذرة، واستحدثوا الأساليب والوسائل في تعذيب الأبرياء، وهتك أعراس النساء، وبلغوا في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد من قبلهم . ويقول بعض المحللين إن الأمريكان ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية في عام واحد فقط تفوق في حجمها وبشاعتها ما ارتكبه دول ودكتاتوريات في قرون . ولقد كانت قيادة الجيش الأمريكي في العراق تقوم من حين إلى آخر بتوزيع منشورات على جنودها تحثهم فيها على القتل والاعتصاب وإذلال الشعب العراقي بشتى الصور، ونقل بعض الصحفيين لوسائل الإعلام نماذج من هذه المنشورات التي كانت تحت عنوان : " كل العراقيين إرهابيون " .

أما في أصول الحرب عند نبي الرحمة - ﷺ - نجد أنه لما صف الصفوف في أحد قبل المعركة ، قام فخطب الجيش، وأوصى الجيش بالتقوى وجملة من فضائل الأخلاق فقال :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! أَوْصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّسَاهِي عَنْ حَرَامِهِ . ثُمَّ إِنَّكُمْ الْيَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ، لِمَنْ ذَكَرَ الَّذِي عَلَيْهِ، ثُمَّ وَطَنَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْحِدِّ وَالنَّشَاطِ، فَإِنَّ جِهَادَ الْعَدُوِّ شَدِيدٌ؛ شَدِيدٌ كَرْبُهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ - إِلَّا مَنْ عَزَمَ اللَّهُ رُشْدَهُ - فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ،

فَافْتَتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ وَالتَّمَسُّوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فَإِنِّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ، فَإِنِ الْإِخْتِلَافَ وَالتَّنَازُعَ وَالتَّشْيِيطَ مِنْ أَمْرِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ، مِمَّا لَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَلَا يُعْطِي عَلَيْهِ النَّصْرَ وَلَا الظَّفَرَ .

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! جُدِّدْ فِي صَدْرِي <sup>(١)</sup> أَنْ مَنْ كَانَ عَلَى حَرَامٍ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَمَنْ رَغِبَ لَهُ عَنْهُ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ عَشْرًا ، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ ذُنْيَاهُ أَوْ آجِلِ آخِرَتِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا صَبِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مُمْلُوكًا ، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا اسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ .

" مَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يَقْرُبُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يَقْرُبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ . وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي الرُّوحَ الْأَمِينُ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِي أَوْسَى رِزْقِهَا ، لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا . فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يُقَدَّرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ غَيْرَ أَنْ بَيْنَهُمَا شَبَهًا مِنَ الْأَمْرِ لَمْ يَعْلَمْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ، فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ كَالرَّاعِي إِلَى جَنْبِ الْحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ . وَلَيْسَ مَلِكٌ إِلَّا وَلَهُ حِمَى ، أَلَا ! وَإِنْ حَمَى اللَّهُ مُحَارِمُهُ . وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ إِذَا اسْتَكَى تَدَاعَى عَلَيْهِ سَائِرُ الْجَسَدِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ " <sup>(٢)</sup> .

ويستفاد من هذه الخطبة عدة دروس منها :

- ١ - خطورة المعاصي والكبائر على الجيش
- ٢ - أهمية الجد والنشاط في ساحة الحرب
- ٢ - ضرورة الصبر والمثابرة عند القتال.
- ٣ - خطر الاختلاف والتنازع على الجيش.
- ٤ - أهمية الأخوة الحب في الله بين الجنود .

(١) قذف في قلبي .

(٢) الواقدي ٢٢٢ .

٧- ضرورة المحافظة على الذكر والأوراد والصلاة على النبي ﷺ -

**كـ تشجيع الجنود**  
وأخذ رسول الله - ﷺ - يُشجع المؤمنين، فرفع سيفاً، وقال :

"مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟" !

فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ حَرْشَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

❖ قَالَ: "أَنْ تَضْرَبَ بِهِ الْعُدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَّ" !!

❖ **قَالَ : أَنَا أَخُذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ .**

فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ، رَجُلًا، شُجَاعًا، يُحْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ، وَكَانَ إِذَا أَعْلِمَ بِعَصَابَةِ لَهُ حَمَرَاءَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا؛ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ سَيَقَاتِلُ، فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَخْرَجَ عَصَابَتَهُ نَلِكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخَّرُ - : " إِنَّمَا لِمَشْيَةٍ يُغَضُّهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ " (١).

وهو درس في أهمية التشجيع والتحريض، وحث الناس، ودفعهم دفعاً، نحو الجهاد، بإلهاب مشاعرهم، وتحريك ضمائرهم، وشحذ هممهم .

وهنا تراه رفع سيفاً كريماً، وفتح باب السباق، وأعلن جولة المنافسة، وقال يهتف بهم: "مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟" !

وكلما قام أحدهم يبغي أن ينال شرف استلام السيف من يد خاتم النبیین، سرعان ما يأمره النبي - ﷺ - بالجلوس، ولا زال يردد مراراً: "مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟" ! حتى أيقظ النفوس، وطرق القلوب، فاقشعرت الجلود لنداء محمد، حتى قام الفارس المَعْلَم "سماك" فأخذ السيف بحقه، فأخذ هذا الفارس ينتشي، مزهواً بشجاعته، مغتبطاً بتلك المكرمة، متبخرًا بين الإخوان، يمشي في تكبر وإباء، وعزة وفخار، فقال

رسول الله - ﷺ - موضحاً - : " إِنَّمَا لِمَشْيَةِ يُغَضُّهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ " ، لبيان للشباب المسلم أن هذا هو ميدان التفاخر، وأن هذا هو ميدان التسميع، وأن هذا هو ميدان الشهرة والكبر، ليس ميدان الأزياء والأموال والنساء والأحساب !

### ❦ أخلاقيات المبارزة :

ولما ترأى الجمعان، صاح طلحة بن عثمان، صاحب لواء المشركين، قائلاً: يا معشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة! فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة! أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه علي بن أبي طالب، فقال: والذي نفسي بيده، لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة! فضربه علي فقطع رجله، فسقط، فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم، ابن عم! فتركه.

فكبر رسول الله - ﷺ - ، وقيل لعلي: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه <sup>(١)</sup>.

ثمة مشهد نقف أمامه يعد من مفاخر السيرة العسكرية في العهد النبوي، ذلك العهد الذي تخرج فيه من مدرسة محمد - ﷺ - أمثال هؤلاء الرجال الأبطال، الذين يقاتلون من أجل راية الله لا من أجل مجد شخصي أو منصب أو جاه، وهم مع ذلك يعلون من القيم الأخلاقية والشهامة حتى في أثناء طاحونة الحرب ودوامة المعركة . لا ينسون "الأخلاق" حتى في أشد اللحظات. وذلك بلا شك يبين طبيعة النبت الذي ينمو ويربو في بيئة إسلامية تُعلي مكارم الإخلاق تحت قيادة نبي بُعث ليتممها !

والمجاهد في سبيل الله مع ما يتصف به من ركانة الصرامة، واستجماع القوة، ترى فيه غلوب الشهامة . والرجل الشهم هو السيّد الكريم النّجْدُ النافذ في الأمور.. والفارس المسلم الذي تفرست في مخايله الشجاعة، وتمخضت عن سلوكه الشهامة، هو قائدٌ قد استكمل بين جنبيه الفدائية الإسلامية، وحقيق أن يُمنح لقب " مجاهد "

### ❦ قال الشاعر يمدح من توفرت فيه الخصلتين :

له هممٌ تعلقو السحائب رفعة ... وكم جاد منها بالنفائس والنفس !







ولم يبق مع النبي - ﷺ - غيرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وحاول المشركون قتل النبي ﷺ، وأمطروه ضربًا، فَشَجَّ وَجْهُهُ الشريف، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ الكريمة، وَجُرِحَتْ وَجْتُهُ الطاهرة، وَجُرِحَتْ شَفْتُهُ السُّفْلَى مِنْ بَاطِنِهَا، وَجُرِحَتْ رُكْبَتُهُ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون.

وقتل المشركون من المسلمين سَبْعِينَ من أكارم الصحابة، وعلى رأسهم حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وسعد بن الربيع وحنظلة بن أبي عامر .  
وأعمل المشركون المِثْلَةَ بجث الشهداء، فبقروا البطون، وجدعوا الأنوف، وقطعوا الآذان.

وهكذا حدثت المصيبة .. والسبب :

١ - مخالفة تعليقات القائد الأعلى ( النبي ﷺ )

٢ - مخالفة تعليقات القائد المباشر ( عبد الله بن جبير رضي الله عنه )

٣ - عدم الصبر على السراء ( فلم يطيقوا الانتظار والغنائم تجمع أمام أعينهم )

٤ - الانشغال بالدنيا وغنائمها .

\*\*\*

إن الدارس لهذه الغزوة يكاد لا يلوي على شيء حدث في هذه الغزوة سوى خبر شَجَّ وجه النبي - ﷺ - وكسر رباعيته، فضلاً عن تلك الضربات التي دفعته نحو الأرض، فلا رغبة للباحث في مداورة المواقف الهامة التي حصلت بعد ذلك لاسيما بطولات الصحابة في هذا اليوم !

وكانني أردت قولت النبي - ﷺ - حينئذ :

"كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ" (١) .

فما حدث للنبي - ﷺ - من ضرب وجرح وقرح، أمر خطير جلل، وجد صعب، وأحرى بنا أن نقف نتأمل هذا المشهد الخطير . أن يُضرب النبي ويُصاب بسبب معصية المسلمين، أن يسقط رسول الله - ﷺ - بسبب مخالفة الرماة لأمر رسول الله - ﷺ - .

\*\*\*

(١) السيرة الحلية ٢ / ٣٨٧ .

إن التعلق بالدنيا أصل كل خطيئة، والركون إلى الدعة أس كل هزيمة، والانشغال بالمال طريق الخزي في الدنيا والآخرة. ولقد رأينا السبب الأوح الذي نزل الرماة من أجله تاركين الموضع الذي استخلفهم فيه رسول الله - ﷺ - .

لقد نزلوا من أجل الدنيا !

وأُنزل الله : ( مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ) يعني الغنيمة ..

قال ابن مسعود: ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله - ﷺ - يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد: ( مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ )<sup>(١)</sup> .  
وانظر إلى هذا الخذلان الذي أحدثته جماعة الرماة ضد إخوانهم الثابتين فوق الجبل، والمجاهدين تحت الجبل . والإخوان هم العدة عند الشدة . وشر الإخوان من التمس منفعة نفسه بضر أخيه، وأقبح الإخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة .

\*\*\*

وكون النبي - ﷺ - يُصاب بما أُصيب به أصحابه من قرح، دلالة على أن نوااميس الله لا تحابي أحداً، وأن أسباب النصر إذا ما تحققت لقوم؛ ظفروا بالظفر وإن كانوا تحت قيادة الوثن، وأن أسباب الهزيمة إذا ما توفرت لفئة؛ باثوا بالهزيمة وإن كان فيهم نبي مرسل .  
﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] .

فإن نصرنا الله في أنفسنا نصرنا، وإن خذلنا خذلنا ..

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]

سبحانه، له مقاليد النصر وحده، يعز من يشاء ويذل من يشاء ..

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ الْإِلَافِي غُرُورٌ﴾ [المُلْك: ٢٠]

مدارسة آيات غزوة أحد في سورة آل عمران

